

## الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري

أ/ سمير جوهاري - جامعة سطيف

أ/ عبد الباقي عجيلات - جامعة سطيف

### خطة المداخلة:

— مقدمة

أولا — تحديد مفاهيم الدراسة

1 — تعريف الأمن الفكري

2 — الانحراف الفكري

3 — مفهوم الوقاية

4 — تعريف الأسرة

ثانيا — أهمية الأسرة ومقوماتها

ثالثا - أسباب الانحراف الفكري لدى الأبناء

رابعا — دور الأسرة في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري

— خاتمة

— قائمة المراجع

— مقدمة:

تعتبر الأسرة الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الطفل ويتفاعل منذ خروجه للحياة، ذلك أنها تتعهد بالرعاية والتربية من خلال تحقيقها للمطالب الأساسية لنموه النفسي والاجتماعي والانفعالي... كالغذاء والملبس والمأوى والأمن... الخ، وتعمل على إعدادة للحياة الاجتماعية فتكسبه القيم الخلقية والعادات والتقاليد والاتجاهات والسلوكيات والمعايير الاجتماعية حتى يتمكن من التكيف مع البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والاندماج فيها والتفاعل مع أفرادها.

وتتوقف طبيعة القيم والاتجاهات التي يتبناها الفرد بحسب البيئة الأسرية التي ينتمي إليها، والتي تتحدد في إطارها ملامح شخصيته، وعليه فالأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع، التي تمدّه بالأفراد، وتحافظ على بقائه واستمراره، وتتقل ترثته الثقافي من جيل إلى جيل آخر، من خلال التربية الأسرية، التي تعتبر عملية غاية في الأهمية والتعقيد، خصوصا في عصرنا الحالي، الذي شهد الكثير من التحولات والتغيرات التي طالت معظم نظمته ومؤسساته الاجتماعية، وأصبح تقدمه وتطوره متوقفا عليها، ومنه فصلاحه وازدهاره مرهون بصلاح الأسرة وقيامها بدورها التربوي المنوط بها منذ الأزل.

فالأسرة هي حلقة الوصل الأهم بين الفرد والمجتمع، وفيها يتعلم الطفل حقوقه الفردية ويتعلم منها أيضا حقوق الآخرين وحقوق المجتمع الذي ينتمي إليه ويعيش فيه، وهي (أي الأسرة) التي يجب عليها أن تغرس في الطفل احترام حقوق الآخرين والحفاظ عليها بقدر الحفاظ على حقوقه الشخصية.

وعليه فإذا أساءت الأسرة في التربية والتنشئة الاجتماعية فإنها بذلك تكون قد أساءت للمجتمع كله وتكون بذلك أيضا قد زرعت بدور ما يمكن أن يزعزع المجتمع ويخل بطمأنينته وأمنه.

فالأسرة لها إذن وظيفة وقائية بلا منازع، ولا جدال. تقوم بها من خلال ما توفره لأطفالها من تربية وتنشئة صالحة ورعاية شاملة، وتوجيه صحيح للأطفال، وكشف مبكر عن الخلل الذي قد يصيب أحد أطفالها، والعمل على مساعدتهم في تقويم أو علاج ذلك الخلل.

### **أولاً: تحديد مفاهيم الدراسة:**

**1 - تعريف الأمن الفكري:** المتمعن في مصطلح الأمن الفكري إنما يرى أنه منصب على ما يتعلق بالفكر ومكونات الثقافة الخاصة بكل أمة.

ولذلك فإنه يمكن أن يصاغ تعريف للأمن الفكري فيقال هو: "أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم، أمنيين مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية."<sup>(1)</sup>

وبعضهم يعبر عنه بالأمن الثقافي فيقول الأمن الثقافي للمجتمع يعني: "وجود قيم وتصورات تفرز ضوابط سلوكية من شأنها أن تشبع الأمن في النفوس وتجافي الجنوح في العنف".<sup>(2)</sup>

كما يعرف أيضا بأنه: "النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع لتجنب الأفراد والجماعات شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية تكون سببا في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق عن جادة الصواب أو سببا للإيقاع في المهالك".<sup>(3)</sup>

كذلك يعرف بأنه: "سلامة فكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية والاجتماعية مما يؤدي إلى حفظ النظام العام وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مقومات الأمن الوطني".<sup>(4)</sup>

أما مفهومه لدى المسلمين فمن المعلوم أن المسلمين يرجعون في كل أمورهم ومنها الفكرية

والثقافية إلى الكتاب والسنة فهما مصدر الأمن الفكري لديها، ولذا فإذا أردنا أن نصوغ تعريفا للأمن

الفكري لدى هذه الأمة الإسلامية فإننا نقول: "أن يعيش المسلمون في بلادهم أمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة".<sup>(1)</sup>

وتعرفه أمل محمد أحمد عبد الله محمد نور بأنه: "حماية عقول الناشئة من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ يتعارض مع تعاليم الإسلام، ويؤدي إلى انحراف في السلوك".<sup>(2)</sup>

من خلال التعاريف السابقة يمكننا أن نستخلص التعريف التالي للأمن الفكري هو تحصين الفكر البشري ضد الأفكار غير المنضبطة بالضوابط الشرعية والاجتماعية للمحافظة على التراث الديني والثقافي وتحقيق الاستقرار في المجالات الحياتية المختلفة وصولا لتحقيق الأمن الوطني.

يبدو أن الفكر ذو علاقة وثيقة بأنشطة الذهن، كما أن له علاقة بعقيدة ومبادئ المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، إذ أن الفكر ينبع من عقيدة ومبادئ المجتمع ويتأثر بهما ويؤثر فيهما. فالفكر السوي ركيزة أساسية في ارتقاء حياة الأمم والشعوب، وهو أساس السعادة البشرية أو الشقاء، فإذا كان الإنسان يستقي أفكاره من منبع سليم، وعقل قويم، كان ذلك تحصينا له من كل المؤثرات والتيارات المنحرفة المضللة.

ومن عوامل بناء الأمن الفكري على مستوى الأفراد الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية بكل مقوماتها

وأبعادها، وفي كل مراحلها، حيث أن سلامة الفكر تعد بمثابة العمود الفقري لاستقامة الإنسان وصلاحه، وبالتالي صلاح سلوكه ومواقفه وردود أفعاله اتجاه مختلف القضايا، فالفكر السليم أفضل ضمانا لاستقامة حياة الناس وأمنهم واستقرارهم، أما الفكر المنحرف فهو الطريق إلى الإجرام والإفساد في الأرض.<sup>(1)</sup>

## 2 – الانحراف الفكري:

**2.1 – الانحراف:** من الحرف، حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، والحرف هو أحد حروف التهجي، والحرف: أيضا الاسم من قولك رجل محارف بفتح الراء أي: منقوص الحظ لا ينمي له مال، وهو خلاف قولك مبارك، وقد حورف كسب فلان إذا شدد عليه في معاملته وضيق في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه من الانحراف عن الشيء وهو الميل عنه، وحرف الشيء ناحيته، وفلان على حرف من أمره أي ناحية منه، كأنه ينتظر ويتوقع فإن رأى من ناحية ما يحب وإلا مال إلى غيرها، وقال ابن سيدة: "فلان على حرف من أمره أي ناحية منه، إذا رأى شيئا لا يعجبه عدل عنه، وفي التنزيل العزيز: "ومن الناس من يعبد الله على حرف." (الحج: 11)، أي إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه، قيل: هو أن يعبد على السراء دون الضراء."<sup>(2)</sup> وقال الزجاج: على حرف أي على شك، قال: وحقيقته أنه يعبد الله على حرف أي على طريقة في الدين لا يدخل فيه دخول متمكن فإن أصابه خير اطمأن به، أي إن أصابه خصب وكثر ماله وماشيته اطمأن بما أصابه ورضي

بدينه، وإن أصابته فتنة اختبار بجذب وقلة مال انقلب على وجهه أي رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان.

وحرف عن الشيء يحرف حرفا وانحرف وتحرف واحرورف: مال وعدل، وقال الأزهري: "وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرف وانحرف واحرورف" ويقال انحرف مزاجه: مال عن الاعتدال، وتحريف القلم قطعه محرفا، وتحريف الكلام عن مواضعه تغييره، والتحريف في القرآن والكلمة: تغييره الحرف عن معناه، وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه، فوصفهم الله بفعلهم فقال تعالى: "من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه." (النساء: 46)<sup>(1)</sup>

فالانحراف هو الخروج عن جادة الصواب، والبعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان، والتمسك بجانب الأمر دون حقيقته. والانحراف في الإسلام ضد الاستقامة التي أمر الله بها وأثنى على أهلها.

ويعرف الانحراف في الاصطلاح بأنه: "ترك الحق والوسطية والاستقامة أيا كان موضوع الانحراف أو مجاله أو صورته."<sup>(2)</sup>

ويعرفه جميل صليبا في كتابه المعجم الفلسفي هو: "الميل عن الشيء والعدول إلى جانبه، ويطلق في العلوم الطبيعية على الشذوذ عن الخط السوي، كانحراف أحد أعضاء الجسم عن القيام بوظيفته الطبيعية، ويطلق في علم النفس على تحول إحدى الوظائف عن غايتها الطبيعية، كانحراف الغريزة."<sup>(3)</sup>

**2.2 – الفكري:** من فكر في الأمر فكرا، أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، وفكر في الأمر: مبالغة في فكر، إذا ردد قلبه معتبرا، ورجل فكير بوزن سكيت كثير التفكير، وفكير

وكثير الفكر، والفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، يقال لي في الأمر فكر نظر وروية، ومالي في الأمر فيه حاجة ولا مبالاة، والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، والتفكر: التأمل، والاسم الفكر والفكرة، والمصدر الفكر بالفتح وبابه نصر، قال يعقوب: "يقال ليس لي في هذا الأمر فكر

أي: ليس لي فيه حاجة، قال: والفتح فيه أفصح من الكسر" والفكرة: الفكر، والصورة الذهنية لأمر ما، قال سيبويه: "ولا يجمع الفكر، ولا العلم، ولا النظر"، وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكارا.<sup>(1)</sup>

والانحراف الفكري من أخطر أنواع الانحراف، فهو مرحلة متقدمة من الفكر المتطرف، حيث يمثل نزعة فردية أو جماعية تنعكس على الذات أو على الآخر، سواء أكان الآخر فردا أو جماعة أو سلطة أو مجتمعا أو إقليما أو دولة أو مجموعة دول، ويسعى أصحاب الفكر المنحرف إلى إشاعة أفكار ليس لها مرجعية معتمدة من الشرع أو القانون بهدف التشكيك في المصالح والنظم والعقائد لتحقيق مكاسب وقتية أو لاحقة، محدودة أو موسعة بطرق غير مشروعة، مما يترتب عليه التأثير في أمن الفرد والجماعة والدولة والمجتمع، وزعزعة الأمن والاستقرار، وإثارة نوبات العنف والتطرف والإرهاب.<sup>(2)</sup>

وهناك من ينظر إليه على أنه: "المبالغة في التمسك فكرا أو سلوكا بجملة من الأفكار قد تكون دينية عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو أدبية أو فنية تشعر القائم بها بامتلاك الحقيقة المطلقة، وتخلق فجوة بينه وبين النسيج الاجتماعي الذي يعيش فيه وينتمي إليه، الأمر الذي يؤدي إلى غربته عن ذاته وعن الجماعة ويعوقه عن ممارسة التفاعلات المجتمعية التي تجعله فردا منتجا".<sup>(1)</sup>

ويرى الباحث **بند بن علي** بأن الانحراف الفكري يكون باختلال في فكر الإنسان وعقله والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوراتهِ وتوجهاته للأمر الدينية والسياسية، إما إلى الإفراط أو إلى التفريط.<sup>(2)</sup>

والانحراف الفكري في الدين في مفهومه العام قد يكون كاملا يمرق بسببه الفرد عن الدين كما في بعض الأمور التي تتعلق بالاعتقاد، وقد يكون انحرافا جزئيا من خلال إلزام النفس بما لم يلزمها به الشرع، أو تحريم بعض الطيبات ونحو ذلك، وهذا صورته كثيرة وهو بداية للانحراف الكبير إن لم يجد من يتداركه.<sup>(3)</sup>

لكن يمكن القول وباختصار إن الفكر المنحرف هو، ذلك النوع من الفكر الذي يخالف القيم الروحية والأخلاقية والحضارية للمجتمع، ويخالف الضمير المجتمعي، وأهم من هذا كله هو ذلك النوع من الفكر الذي يخالف المنطق والتفكير السليم، ويؤدي إلى ضرب وتفكك وحدة وكيان المجتمع.

وعلى هذا الأساس يصبح الفكر المنحرف مرادفاً للبغضاء والعدوانية، ونشر العنف وإضعاف الأمن والأمان، وزعزعة الاستقرار الاجتماعي والاطمئنان النفسي لدى الأفراد، الفكر المنحرف يعتمد أساساً على التلقين والاستظهار والطاعة العمياء وينتمي أصلاً إلى التفكير السطحي غير عقلاني، الذي لا يحتاج إلى جهد عقلي، أو منطقي أو ذهني، ولا يقوم على منهجية علمية أو على دراسات علمية حقيقية. لأن هدف الفكر المنحرف ليس الوصول إلى نتائج دقيقة وسليمة أو براهين علمية يمكن

الاستفادة منها في الحكم على المواضيع والقضايا، أو الظواهر الاجتماعية أو الفكرية، بقدر ما يهدف إلى زرع البلبلة، والشك، والتشكيك، وإسقاط ما هو قائم من فكر وأخلاق ومعتقدات، ونسق اجتماعي وسياسي، واستبدالها بتوجهات أخرى معروفة أو غير معروفة.

وفي هذا الشأن يقول المربي عطا حسين عقل (1996): "الأفكار والمعتقدات اللاعقلانية ومنها (الفكر المنحرف)، التي يؤمن بها الفرد ويتعلمها أثناء طفولته، ذلك أن تلك الأفكار التي يحملها الفرد لها تأثير على إدراكه وتأويل الأحداث والمؤثرات بشكل غير مناسب، ومن ثم يستجيب لهذه المؤثرات بردود أفعال فسيولوجية ونفسية مضطربة." (1)

### 3 - مفهوم الوقاية:

الوقاية من الجريمة (الانحراف الفكري) من المفاهيم الحديثة في العلوم الاجتماعية والتي يشوبها الكثير من سوء الفهم، رغم أن هذا المفهوم يستعمل بكثرة وفي هذا الإطار يذهب الباحث البريطاني دانييل جيلنيق **Daniell Gilling** إلى القول أن مفهوم الوقاية من الجريمة هو: "حيوان صعب الترويض" (2)، وفي هذا

القول إشارة إلى صعوبة السيطرة على هذا المفهوم، وهذا ما هو حاصل فعلا لدى الكثير ممن يستعملون هذا المفهوم ويقول باحث آخر برنتينجهام (Brantingham ;1986) البريطاني أيضا: "ربما يكون هذا المفهوم الأكثر استعمالا لكنه أيضا الأقل فهما."<sup>(3)</sup>

وعليه فإن العلماء والباحثين لم يتفقوا على تعريف موحد للوقاية من الجريمة عبر الزمان والمكان،

وربما ذلك راجع للمغزى من التعريف ولاختصاص الباحثين، ويشير طالب أحسن (2001)، إلى أن مفهوم الوقاية من الجريمة يعني: "مختلف الجهود التي تهدف إلى الحيلولة دون وقوع الجريمة أصلا."<sup>(1)</sup> أي أن المجتمع لا ينتظر حدوث الأفعال الإجرامية لكي يتحرك لمكافحتها، أو محاربتها، بل يهدف إلى الحيلولة دون وقوعها أصلا.

وهناك من يجعل الوقاية من الجريمة ذات طابع ومدلول عملي محض بحيث يركز هذا الأخير على تحديد طريق وأساليب الوقاية من الجريمة فيما تتخذه الدولة والمجتمع وما تنفذه من برامج واستراتيجيات وخطط لمنع الجريمة قبل وقوعها، وكذلك قيام الأفراد والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية بكل ما من شأنه أن يساعد على تجسيد الظروف والعوامل الاجتماعية التي تشكل أسبابا وعوامل تساعد أو تسهل، أو تشجع على ارتكاب الجريمة.<sup>(2)</sup>

#### 4 - تعريف الأسرة:

" يدل لفظ الأسرة على الزواج والإنجاب، ونعني به مجموعة من المكانات والأدوار المكتسبة عن طريق الزواج والولادة، على أساس أن الزواج شرط أساسي لوجود الأسرة، التي تعتبر بدورها نتاجا للتفاعل الزوجي، وتعرف أيضا بأنها مجموعة تتكون من شخصين أو أكثر، يرتبطون مع بعضهم البعض بواسطة الدم أو الزواج أو التبني، ويعيشون حياة مشتركة"<sup>(3)</sup>. إذن فهي جملة الأدوار المكتسبة

لدى كل من الذكر والأنثى عن طريق الزواج، الذي من خلاله يكتسب الذكر دور الأب، كما وتكتسب الأنثى دور الأم، فالزواج إذن أساس وجودهما وقد يتعدى

حجمها الزوج والزوجة إلى الأبناء الذين يكونون من نسلهما أو عن طريق التبني ويعيشون حياة مشتركة. ويدعم جمال مجدي حسنين هذا الرأي حيث يعتبر "الأسرة هي جماعة مكونة من أفراد مرتبطين بعلاقة زواج، ثم مرتبطين بعلاقة الأبوة والبنوة، وهاتين هما العلاقتين الأساسيتين الموجودتان في الأسرة".<sup>(1)</sup> ويمكن تعريف الأسرة أنها جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من رجل وامرأة (تقوم بينهما رابطة زواجية مقررة) وأبنائهما، ومن أهم الوظائف التي تقوم بها هذه الجماعة إشباع الحاجات العاطفية، وممارسة العلاقات الجنسية، وتهيئة المناخ الاجتماعي الثقافي الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء".<sup>(2)</sup>

## ثانيا - أهمية الأسرة ومقوماتها:

### 1- أهمية الأسرة:

الأسرة هي الجماعة الاجتماعية الأولى، والخلية الأساسية في المجتمع، ذلك أنها تمدّه بالأفراد لتضمن بقاءه واستمراره، وعلى هذا الأساس فهي ركن أساسي في البناء الاجتماعي، ومن خلاله تتحدد مكانتها وتتجلى أهميتها، فإذا كانت وحدة متماسكة في جوهرها، قوية وسليمة أمكن أن يتكون من مجموعها بناء قوي متماسك لمجتمع سليم، وما دامت تمدّه بالأفراد فإن تكوين علاقات اجتماعية فيما بينهم أضحت ضرورة ملحة تفرضها مستلزمات الحياة الاجتماعية ومتطلباتها، وسد احتياجات بعضهم البعض، هو ما سهل ظهور مؤسسات اجتماعية ومنظمات تعمل على تقديم خدماتها للأفراد

والجماعات فنمو شخصية الطفل وتكوينه، وتبلور اتجاهاته وتصورات وأنماطه السلوكية وقيمه وأساليه في الحياة، لا يتم من فراغ، بل يتم في إطار النسق الأسري الذي نشأ فيه، ويتضح من خلال هذا أنها أقوى النظم الاجتماعية، والمهد الحقيقي للطبيعة الإنسانية التي من خلالها اكتسب الفرد إنسانيته، فليس بمقدوره العيش بمعزل عن الآخرين، وذلك لحاجته الماسة لمن يرفع شأنه طول الوقت، ويلبي حاجاته، ويحقق رغباته.

وتعد التربية الأسرية تربية مقصودة، حيث يرى كثير من الباحثين والمربين على السواء، أن الأسرة هي المكان الطبيعي الذي يتلقى فيه الطفل التربية منذ ميلاده، وتستهدف بذلك إعداده للحياة، فعن طريقها يكتسب اللغة والعادات والتقاليد، والاتجاهات وهي تنفرد دون سواها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى بدورها المتميز في بناء وتشكيل شخصية الطفل على اعتبار أنها التربة الخصبة التي تنمو فيها بذور الشخصية الإنسانية وتترعرع، والبوتقة التي يتشكل بداخلها، وهي بذلك تحرص على أن تكون عملية النمو متكاملة حتى يتسنى لها إمداد المجتمع بالأفراد الفاعلين فيه، الذين يمتلكون القدرة على تغييره وتطويره، فازدهار المجتمع مستمد في الواقع من ازدهار الفرد نفسه بقدر ما هو مشبع بالقيم والاتجاهات والمعايير المجتمعية التي تلقاها في أسرته، والتي من شأنها أن تحافظ على استمرار المجتمع واستقراره من خلال نقل التراث الثقافي من جيل لآخر بواسطة التربية، فالأسرة تضع بصماتها الأولى على شخصية الطفل منذ ميلاده، وتحدد ملامحها.

"ولما كان الطفل البشري أضعف أنواع الأطفال، وأكثرها اعتمادا على غيره، كان من الضروري قيام الكبار برعايته وحمايته، والإشراف على طعامه وشرابه، ونومه وتربيته، وإلا كان عرضة للهلاك"<sup>(1)</sup>، ولاسيما في السنين الأولى من حياته.

فالأسرة بمثابة مجتمع مصغر ومرآة عاكسة للمجتمع الكبير الذي تنتمي إليه فهي "تحمل الكثير من سمات المجتمع الخارجي الذي توجد فيه، حيث تتوفر داخل الأسرة الكثير من مقومات المجتمع الكبير الذي تنتمي إليه، كما تتوفر داخلها عوامل الاستقرار، وتكامل العلاقات بين أفرادها هذا بالإضافة إلى أنها تعتبر مصدر القيم، ودعامة ضبط السلوك"<sup>(1)</sup>.

وكونها مؤسسة ضبط اجتماعي من خلال ما تفرضه على أفرادها من قواعد للسلوك، ومعايير خلقية ليتمكن الطفل من الحكم على سلوكياته وتصرفاته وتقييمها بالرجوع إلى ما تلقاه بداخلها، "وتعتبر سلوكيات الأسرة وقيمها وطرق عملها إطارا مرجعيا لتقييم سلوك الطفل، وسلوك الآخرين بما اكتسبه داخلها من قيم ومعايير

"(2)، فهي إذن جماعة مرجعية ضرورية في حياته اليومية، تمهد له الطريق للاندماج في المجتمع بشكل نهائي.

وحلي بالأسرة إمامها بالتراث الثقافي للمجتمع، بالشكل الذي يمكنها من انتقاء ما يتناسب وروح العصر من قيم ومعايير خلقية... وغرسها وتطبيع الطفل عليها، وبالتالي تهيئته لشغل دوره المستقبلي. كما "تعتبر الأسرة أهم عامل في نقل التراث الاجتماعي، وخاصة القيم الاجتماعية والإيديولوجية، وفوق كل هذه قيم المجتمع، وفي الحقيقة تعتبر الأسرة المصدر الأول لكل أفكارنا الأخلاقية، فالأسرة ممثلة في الآباء بالدرجة الأولى، هي التي تعلمنا ما هو الصواب والخطأ، وما هو الحسن والسيئ، ماذا نحب وماذا نكره، وما علينا أن نتعلمه، وما يجب أن نتجاهله، وقائمة طويلة من الاتجاهات، والميول والأفكار، وباختصار ما هو مقبول اجتماعيا، وما هو غير مقبول اجتماعيا."(3)

ويمكن القول أن البيئة المنزلية الدافئة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي المناسب واتجاهات الآباء الإيجابية نحو الأبناء وحجم الأسرة المناسب وأساليب التنشئة الأسرية كلها أمور تساهم في تنمية سلوك الطفل الاجتماعي والأخلاقي.

## **1-2 - مقومات الأسرة:**

تعتبر الأسرة الوحدة الأساسية في المجتمع، وهي تعتمد في حياتها على عدد من المقومات التي لا يمكن الاستغناء عنها حتى تتمكن من القيام بوظيفتها كمؤسسة اجتماعية، ويتوقف نجاحها وتوافقها الاجتماعي على مدى تكامل هذه المقومات التي نوجزها في النقاط التالية:

### **1-2-2 - المقوم الصحي:**

تتميز الأسرة عن غيرها من المؤسسات الاجتماعية بإمدادها المجتمع بالأفراد عن طريق الزواج والإنجاب، وذلك ما يكفل بقاءه واستمراره، وخلال هذه العملية الحيوية يتم انتقال الخصائص الوراثية عن طريق الصفات التي تحملها الجينات من

الآباء إلى الأبناء، وعلى هذا الأساس فسلامة الأسرة من سلامة الزوجين، حيث انه ينبغي أن تقوم على أساس صحي سليم.

"ولكي يتحقق التكامل الأسري لابد أن تتوفر الجوانب الصحية لجميع أفراد الأسرة، وذلك بإجراء الفحوص الطبية اللازمة قبل إتمام عملية الزواج (مكتب الراغبين في الزواج): حيث أن الوراثة تلعب دورا هاما في حياة الأسرة، ولا جدال في أن سلامة الأبوين الصحية تؤدي إلى نسل سليم، وبالتالي إلى أسرة سعيدة".<sup>(1)</sup>

ويعود ضعف النسل في كثير من الأحيان إلى عوامل وراثية، لذلك يحذر العلماء من زواج الأقارب،

خصوصا إذا كانت درجة القرابة وثيقة، هذا ما يسهل انتقال الصفات السيئة من الآباء إلى الأبناء.

ويؤثر مرض أحد أفراد الأسرة على الحياة اليومية لها خصوصا إذا كانت مرضا مزمنًا، وتزداد خطورة الموقف إذا كان رب الأسرة هو المصاب، الأمر الذي من شأنه توقف دخله أو انخفاضه، وبالتالي تراجع مستوى معيشتها، وهذا ما يؤدي بدوره إلى حدوث اضطرابات حادة داخلها، مما يضطر الأم إلى العمل خارج المنزل، فعجز رب الأسرة عن تحقيق مطالبها بسبب المرض يولد اليأس والكآبة، وقد يصبح شديد الحساسية، كما وإن لمرض الأم الأثر السلبي على الحياة الأسرة أيضا الأمر الذي يولد بداخلها الكثير من الاضطرابات، وذلك نظرا لعجز الأب عن تدبير شؤون المنزل بغيابها، وهو ما ينعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على وضع الأم الصحي بالدرجة الأولى. كما تتأثر في حال إصابة الابن أو الابنة بمرض ما، فقد تنتاب الأبوين موجة من القلق، والمخاوف على صحته ومستقبله، وهذا إلى جانب ما يعتريه هو نفسه من مخاوف أو اضطرابات لعجزه عن ممارسة نشاطه الاجتماعي نتيجة المرض.

وقد يفرض المرض أعباء، ومسؤوليات إضافية على عاتق الأسرة، بحسب طبيعة المرض، ويؤثر على مستوى الحياة الأسرية نفسيا واجتماعيا، ويؤدي إلى حصول اضطرابات داخلها، وفقدان التوازن والاستقرار.

## 2-2-2- المقوم الديني

"الدين حسب دوركايم نسق متكامل من المعتقدات والممارسات، ترتبط بموضوعات مقدسة، يوجد بين أولئك الذين يؤمنون بهذه المعتقدات والممارسات في مجتمع أخلاقي معين".<sup>(1)</sup> وهو من أهم النظم الاجتماعية التي قامت عليها الحياة الإنسانية في كثير من المجتمعات البشرية، ذلك أنه يشكل عنصرا

مهما من عناصر ثقافتها الأساسية، وهو أحد المثيرات القوية التي تفرض نفسها على الفرد كي يستجيب لها. "فالدين في مجتمع معين يؤلف بين حقوق الأفراد، وواجباتهم ويربط هذه الالتزامات بالقوة العليا المهيمنة على البشر والتي تستطيع أن توقع العقاب على من يتجاوز حقوقه، كما يمكنها أن تثيب على المحسن كي يكبح جماح شهواته ونزواته، ويحترم حقوق غيره من الناس".<sup>(1)</sup>

وتعمل الأسرة كمؤسسة للضبط الاجتماعي على غرس القيم الأخلاقية والروحية في الفرد، باعتباره الدعامة الأولى التي تساعد في المحافظة على استقرارها، ومساعدته على كبح غرائزه، وممارسته الشعائر بشكل جماعي، مما ينعكس بالإيجاب على مدى تماسك وحدتها، ومنه تحقيق الجو الملائم لنمو الطفل النمو السليم، فينشأ على الفضيلة، فالعلاقات الأسرية الحميمة تترك بصماتها على شخصية الطفل، على أساس أن الحياة الأسرية تمثل الخبرة الأولى في حياته. "وتكوين الشخصية إنما ينشأ بتوجيه الطفل تبعا لقدراته، ولطبيعته، عن طريق تدريب منظم للقيم الأخلاقية التي يتضمنها الدين وسط بيئة منزلية حميمة، وفي حياة أسرية فاضلة، فالأسرة هي الحارس والرقيب، وهي أولى المؤسسات التربوية وأهمها في تنمية الخلق".<sup>(2)</sup> فالدين ليس عقيدة شخصية أو أسرية، يختص بها فرد عن الآخر، أو أسرة دون غيرها، وإنما هو عقيدة للمجتمع ككل.

## 2-2-3- المقوم الاقتصادي:

تحتل الشؤون المالية للأسرة مكانة هامة في حياتها، وقيامها بوظائفها متوقف على أساس توافر الموارد

تحتل الشؤون المالية للأسرة مكانة هامة في حياتها، وقيامها بوظائفها متوقف على أساس توافر الموارد

المالية والاقتصادية، إذ أن الأساس المادي يعد من الأمور الحيوية أيضا، فوفرة الموارد المالية يسهم

في إشباع حاجاتها المادية التي تتطلبها حياة الفرد الأسرية والزواجية، وتختلف هذه الحاجات وتباين، إذ أنها نسبية لكل فرد تبعا لوضعه في المجتمع، ومستوى معيشته ودخله، وموارده المحصل عليها سواء كانت بالعمل أو غير ذلك.

فحاجات الفرد كثيرة ومتنوعة، وكلما أشبع الفرد حاجته الضرورية، ظهرت له حاجة أخرى أقل إلحاحا، وينتقل في إشباع حاجاته من المهم إلى الأهم، إلى أن يصل إلى تحقيق الكماليات، وكلما ظهرت موارد مالية جديدة، ظهرت لها حاجاتها، وأنفقت في سبيل إشباعها، كالسكن، المأكل، الملبس، الإنارة، الخدمات الطبية والصحية والتعليمية... الخ، أي أن إشباع مثل هذه الحاجات الأساسية في الحياة الأسرية يتم تبعا لأهميتها، وفق أولويات، ويختلف مستوى الإشباع وفق مستوى الدخل.

وتحقيق التوازن بين الدخل والإنفاق شرط أساسي في حياة الأسرة، يتم وفق استراتيجيات، أو ما يسمى تحديد ميزانية الأسرة، ويتمثل ذلك في تقدير الأسرة لحجم الدخل، والذي تحصل عليه يوميا أو شهريا أو سنويا، بحسب طبيعة عمل رب الأسرة، وتوزيعه حسب أوجه الإنفاق المختلفة، في خلال شهر أو أسبوع، حسب فترة زمنية معينة تحددها الأسرة، وتراها مناسبة لتوزيع دخلها على مجمل نفقاتها.

"ويعتبر العامل الاقتصادي الأساس في إشباع الحاجات الأساسية والمتغيرة، والوسيلة للمحافظة على بنائها المادي، والنفسي، والاجتماعي ويترتب على قصور العامل الاقتصادي ما يسمى بالفقر، والذي يحرم الأسرة من المشاركة الاجتماعية، وكثير من جوانب الحياة، ومفهوم الفقر - مفهوم نسبي - فليس دخل الأسرة موضوعا كميا فحسب، فقد يحقق دخل الأسرة مطالبها المادية، ولكنه لا يحقق لها الشعور بالأمن، أو الإشباع النفسي والاجتماعي، وكثير من المشكلات مرجعها أساسا العوامل الاقتصادية أو الحرمان المادي"<sup>(1)</sup>، وهذا ما يضطر المرأة للخروج إلى العمل والمساعدة في رفع مستوى الدخل، وبالتالي رفع مستوى معيشتها، وتعمل الأسرة على وضع ميزانية لها، بهدف التحكم في موارد الإنفاق والدخل بصورة يتحقق من خلالها الإشباع التام لكل أعضائها وذلك من خلال تقدير الدخل وتوزيعه على أوجه الإنفاق الثابتة منها والمتغيرة بما يكفل لها أقصى درجات المنفعة، الأمر الذي يسهم في رفاهية الأسرة وأمنها وسعادتها في المجتمع.

## 2-2-4 - المقوم الاجتماعي:

يسود الوسط الأسري جملة من العلاقات بين الأفراد، التي تحدد طبيعة الجو الأسري السائد، فالعلاقات القائمة بين الزوجين مبنية على مبدأ التقبل المتبادل بين الطرفين، وشعورهما بأهميتها، هذا ما يضيف على حياتهما شيئا من الاستقرار والطمأنينة، وبالتالي نجاح الحياة الزوجية.

"وتقوم الحياة الأسرية على التكيف المتبادل بين الأدوار الزوجية، من ناحية الإشباعات الجنسية والعواطف والصداقة والديمقراطية، والمشاركة في السلطة، وتقسيم العمل، وعندما يتحول الزوجان نحو الأبوة، تبدأ المسؤوليات المشتركة نحو الأبناء، وتسمو كل العلاقات التي كانت قائمة من قبل في علاقات الزوجين"<sup>(2)</sup>.

وتسعى الأسرة إلى إنجاب الأطفال وإحاطتهم بالرعاية والعطف والاهتمام، "بيد أن الوظائف البيولوجية لا يمكن أن تتحقق إلا في إطار تنظيم دقيق من القوى الاجتماعية، ومن الناحية

السيكولوجية يرتبط أعضاء الأسرة عن طريق الاعتماد المتبادل لإشباع حاجاتهم المختلفة إلى الحب،

ومن الناحية الاقتصادية ترتبط جماعة الأسرة عن طريق الاعتماد المتبادل لتوفير حاجاتهم المادية،

ومن الناحية الاجتماعية تخضع الأسرة للتغير الاجتماعي والتطور، وهي وحدة مرنة تتلائم في سهولة ويسر للمؤثرات المختلفة، والقوى الخارجية والداخلية".<sup>(1)</sup>

## 2-2-5- المقوم النفسي:

تكون الأسرة أكثر فاعلية في رعاية أبنائها، من خلال ما توفره لهم من استقرار نفسي وطمأنينة، وأمن، وعطف، والتي تقل فيها المشاكل والصراعات، فالتفاهم والتعاون والاحترام المتبادل، شرط أساسي لنجاح الحياة الأسرية وازدهارها، " كما أن تحديد سلوك الأسرة ينعكس على الطفل منذ السنوات الأولى من حياته، لأن وظيفة الأسرة هي صياغة استعداداته في نمط اجتماعي مقبول، والعمل على تجنب نمو السلوك المضاد للمجتمع، فإذا أخفقت الأسرة في تحقيق هذين الغرضين نشأت شخصية عاجزة عن التوفيق بين رغباتها، ومطالب المجتمع الذي تعيش فيه ".<sup>(2)</sup> "ولا يمكن أن يعتبر الزواج ناجحاً إلا إذا توفرت له عوامل التماسك والاستمرار، فالزواج يقوم على الأخذ والعطاء، وتسود فيه الديمقراطية، وتتخذ القرارات المشتركة، وتؤدي إلى تنمية نسق كامل من العادات والتصرفات وأساليب العمل المتبادلة ".<sup>(3)</sup>

إن ما يضيف أهمية بالغة على المقومات النفسية والتربوية للأسرة هو ارتباطها بدورها التربوي المنوط

بها، فهي المسؤول الأول عن تربية الأبناء وإعدادهم للحياة، وتوافرها على هذه المقومات بشكل سليم ينعكس بالإيجاب على أداء هذا الدور، وبالتالي نجاحها في إمداد المجتمع بالأفراد الفاعلين، أما إذا فشلت في تحقيق ذلك لوجود صراعات ومشاكل تتخلل الحياة الأسرية، فإن ذلك سيقلل من فاعلية الدور الذي تقوم به.

### ثالثاً: أسباب الانحراف الفكري:

هناك عدة عوامل تسهم بدرجات متفاوتة في نشأة الفكر المنحرف الذي يسهم بدوره في زعزعة الأمن والاستقرار، نتيجة تحول الفكر إلى عمل ومنهج للمنحرفين الذين يسعون لفرض آرائهم وتوجهاتهم بالقوة في إطار التشدد الفكري الذي يترتب عليه مظاهر سلوكية عدائية متفاوتة الشدة تتعكس سلباً على الذات وعلى الآخرين، في ظل سعي المنحرفين فكرياً إلى نشر أفكار ليس لها مرجعية معتمدة من الشرع أو القانون، بغية التشكيك في العقائد والأهداف والنظم والمصالح من أجل

تحقيق مكاسب محدودة أو موسعة بطرق غير مشروعة تزعزع الأمن والاستقرار بمختلف أبعاده.<sup>(1)</sup>

وبالبحث المتعمق في الأسباب التي قد تؤدي إلى الانحراف الفكري يلاحظ أنها كثيرة، حيث أن الانحراف ظاهرة مركبة، أسبابها متنوعة، ومتداخلة، منها ما هو ديني بالدرجة الأولى أو سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو نفسي أو أيديولوجي، وقد يكون السبب ذاتياً مرتبطاً بالشخص المنحرف فكرياً.

ولا شك أن الجهل بحقيقة الدين يأتي في مقدمة الأسباب المؤدية للانحراف الفكري وما يتبعه وهو عدم التعمق في الدين وفهمه على حقيقته، وعدم معرفة غاياته ومقاصده، أو الاكتفاء بالنظرة السطحية لأحكامه ومقتضياته.<sup>(2)</sup>

وهناك سبب مهم في حدوث الانحراف الفكري وهو القصور والخلل في بعض جوانب التربية

الجهل بمناهج التعامل مع أصول التشريع (الكتاب، السنة، الإجماع، القياس)، ومن أمثلته الجهل بوجود الأدلة وأدوات الاستنباط أو الجهل باللغة العربية (لغة الوحي) وأساليبها، وهنا تكمن الخطورة فالقصور في فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، أو الأخذ بظواهر النصوص دون فقه ولا اعتبار لدلالة المفهوم، ولا قواعد الاستدلال، ولا الجمع بين الأدلة، ولا اعتبار لفهم العلماء، ولا نظر في أعمار الناس.

الخلل في منهج التلقي، حيث تتلمذ طائفة من الغلاة على من لا علم عنده، فلا يقتدون ولا يهتدون

بما عليه العلماء الراسخون، وهؤلاء الغلاة يعتدون بآرائهم، وينساقون مع أهوائهم، فيحرمون العلم النافع المستقي من مشكاة النبوة وأنوار الرسالة، ويقعون في ضروب من الضلال.<sup>(1)</sup>

ومن أسباب الانحراف الفكري أيضا نذكر ما يلي:

- الحماسة والاندفاع وتغليب العاطفة دون الرجوع إلى أسس الدين الصحيحة أو العقل السليم.

- استخدام بعض الدول الغربية للقوة غير المبررة ضد شعوب العالم العربي والإسلامي وافتعال الحروب، مما جعل لأفكار الجماعات المنحرفة التي تنتهج العنف أن تجد رواجاً بين الشباب.

- قصور المؤسسات والأجهزة ذات العلاقة بالشباب عن القيام بدورها مما جعل كثيراً من الشباب يفتقدون التوجيه والمتابعة، وأدى إلى لجوئهم إلى أفراد أو جماعات منحرفة فكرياً.

- الفراغ الذي يعانيه بعض الشباب، وعدم وجود برامج خاصة تشغل وقت فراغهم بما يفيدهم، وتنمي

فيهم القيم الإسلامية وروح الولاء والانتماء للمجتمع، مما حدا ببعض منهم إلى أن يتجه إلى أي جماعة أو منظمة يجد أنها ستملأ عليه الفراغ، والتي قد تستدرجه نحو أفكار منحرفة.<sup>(1)</sup>

- تقصير الأسرة في تربية الشباب ومن ذلك الإهمال والقذوة السيئة من أحد أفراد الأسرة والتفكك الأسري وعدم مراعاة خصائص النمو وحاجاته لدى الشباب من قبل الأسرة.

- ضعف دور المسجد في إصلاح الشباب حيث أصبح مكاناً للصلاة المفروضة فقط بدلاً من أن يكون

مركز توجيه وإرشاد وتربية للشباب.

- تقصير وسائل الإعلام، التي تعتبر وسائل الإعلام سلاح ذو حدين فإذا ما استخدمت للإصلاح والخير وما هو مفيد، فلها التأثير الكبير في تربية الشباب التربوية الصحيحة.

- الغزو الفكري والثقافي والأخلاقي، حيث يستخدم أعداء الإسلام كل الوسائل والطرق التي تهدف إلى اضطراب فكر الشباب وانحلال أخلاقهم والقضاء على هويتهم الإسلامية.

- الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعانيها بعض المجتمعات، وانتشار البطالة بين الشباب التي قد تؤدي إلى شعور الشباب بالملل واليأس وبالتالي يستسلم لأي دعوة منحرفة، أو يصبح فريسة سهلة للاستغلال.<sup>(2)</sup>

- غياب الوعي بخطر الانحراف الفكري وعواقبه على دين الفرد وأمن المجتمع والجماعة من قبل

الأسرة والمجتمع والدولة، هذا ما يساعد على ظهوره وانتشاره.<sup>(1)</sup>

وقد تكون هذه الأسباب التي تم ذكرها من أهم العوامل التي تؤدي إلى انحراف الشباب عن جادة الصواب، مما يتطلب من المؤسسات الاجتماعية ومن المجتمع المحلي المشاركة الفعالة والعلمية على دراسة ومعرفة الأسباب المؤدية لهذه الجريمة لتصدي لها.

ومن أهم المؤسسات الاجتماعية التي يمكنها القيام بمجهود وقائي معتبر في هذا المجال هي

الأسرة، المؤسسات التربوية بمختلف أنواعها، المساجد، ومؤسسات الإرشاد الاجتماعي، وبما أن هذا

البحث يناقش موضوع الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، وهذا ما سيتم التطرق إليه بمزيد من التفصيل.

#### رابعاً: - دور الأسرة في الوقاية من الانحراف الفكري:

الأسرة هي أقوى العوامل التي تؤثر في شخصية الفرد وسلوكه، وبدون منازع فهي الخلية الأولى التي تستقبل الإنسان أول عهده في الدنيا، وهي القلب الذي

تتشكل فيه شخصيته، وفيها يمارس تجاربه الحياتية الأولى. الأسرة هي أيضا التي تلقن الفرد المعايير والقيم الأخلاقية والاجتماعية الضرورية، ومنها يقتبس ويتعلم الفرد العادات والتقاليد الاجتماعية. فالأسرة هي التي تعلم الفرد الخطأ والصواب فيما يتعلق بالسلوك، ويتضح جليا مما سبق أهمية المراحل العمرية الأولى في تشكيل شخصية الفرد،

فالطفولة هي الفترة التي تتكون فيها أهم السمات السلوكية والاتجاهات والمفاهيم والقيم مهما كان نوعها، لأن هذه الفترة يكون فيها الطفل صفحة بيضاء يتلقى فيها بطريقة التأثير والمحاكاة والتعزيز

وعليه فالأسرة هي التي تقوم بالدور الوقائي للحيلولة دون وقوع الطفل في أخطار الانحراف ومنه الانحراف الفكري، وهي التي تقدم الشروط والظروف المواتية لصيانة الطفل من السلوكيات الانحرافية، وذلك بالسهر على تنشئته تنشئة صحيحة وسليمة ورعايته بطريقة وأسلوب لائقين بظروف الحياة ومتطلباته ومستجداتها ومواكبة للعصر وخصوصيات كل مجتمع، وذلك كله يكون في إطار تهيئة الطفل للحياة المستقبلية والدور الذي سوف يلعبه مستقبلا داخل المجتمع الذي ينتسب إليه. وهذا مرهون

بكون الأسرة ذاتها سليمة ومتماسكة، ويسودها الوئام والمودة والسلام.<sup>(2)</sup> فالتفكك الأسري مثلا، يعتبر بدون أدنى شك من أكثر العوامل المؤدية إلى الجنوح والانحراف ومنه الانحراف الفكري لدى المراهقين والناشئة والأطفال، بل إن كثيرا من الدراسات أثبتت أن السلوك الجانح والإجرامي يكون مرده في الكثير من الحالات إلى تأثير الأسرة المفككة<sup>(3)</sup>

وتتحدد وظائف الأسرة الوقائية في وظيفتيها الأساسيتين: وظيفة التربية والتنشئة الاجتماعية وفي الحرص على الانتظام في التعليم، والتأكيد على التحصين الروحي للطفل، ووظيفة إعداد الطفل بالشكل الجيد والسليم لخوض معترك الحياة المستقبلية.

## أ - وظيفة التربية والتنشئة الاجتماعية:

فإذا كانت بعض المؤسسات الاجتماعية في وقتنا الحاضر، قد أخذت بشكل كلي أو جزئي، بعضاً

من وظائف ومهام الأسرة، مثل مهمة توفير العناية الصحية ومهمة الترفيه والترويح، ومهمة بناء المسكن، ومهمة خياطة وتوفير الملابس وتحضير المأكل، بعدما كانت الأسرة ذاتها تقوم بهذه الوظيفة، فإن وظيفة التربية والتنشئة الاجتماعية لا تستطيع أية مؤسسة اجتماعية أخرى أن تقوم مقام الأسرة، على اعتبار وجود الكثير ممن يعتقدون أن هذه الوظيفة يمكن تفويضها إلى مؤسسات أخرى غير الأسرة ومنها اعتماد الخادمة والمربية، دور الحضانة، ورياض الأطفال، والمدرسة وفي حقيقة الأمر

ما هي إلا مسميات تهرابية يعطيها بعض الأولياء للتخلص من هذا الدور وهذه الوظيفة الحيوية للأسرة اتجاه أبنائها.<sup>(1)</sup>

إن وظيفة التربية والتنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة نفسها مرتبطة في الواقع الأمر بوظيفة الوقاية من الانحراف والجريمة وفي هذا المجال نذكر الحقائق التالية:

**— طول فترة الطفولة عند الإنسان:** يذكر فاخر عقل (1998)، بأن الفترة التي تمضي بين الولادة وبين خوض الوليد الجديد لحياته العادية تسمى طفولة، وهذه الفترة تزداد بارتفاع المخلوقات في سلم التطور لكن ما علاقة هذا بالتربية والتنشئة الاجتماعية وما علاقتها بالوقاية من الانحراف والجريمة.<sup>(2)</sup>

نعتقد أن العلاقة واضحة ومباشرة بين طول فترة الطفولة عند الإنسان بالمقارنة بالمخلوقات الأخرى، والتربية والتنشئة الاجتماعية قائمة أساساً على حسن استغلال قدرة الإنسان كأرقى المخلوقات على التعلم والاكتساب، ويشمل ذلك كل أنواع الخبرات والمعارف وهذه الأخيرة أول ما تأتي من الأسرة ذاتها من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية.

ومن الناحية الوقائية، فإن الأسرة إذا قامت فعلا بالوظيفة الأساسية لها، والمتمثلة في التربية والتنشئة الاجتماعية وبشكل صحيح وسليم، فإنها أيضا تقوم بوظيفتها الوقائية، من خلال تحصين الطفل لمواجهة كل الأخطار والانحرافات السلوكية، التي يمكن أن يكون عرضة لها.

وهنا أيضا نقدم الحقيقة العلمية التي ذكرها النفساني عبد الرحمن عيسوي (1989) في الوضع

الطبيعي يقوم المخ الإنساني في الجهاز العصبي للفرد بتوصيل المنبهات القادمة إليه من الداخل

والخارج بالآليات العصبية وبالمرور على الخبرة الماضية المخزنة لديه بتوصيلها إلى أعضاء الجسم للقيام بالسلوك المناسب (الاستجابة المناسبة).<sup>(1)</sup>

يتضح إذن من هذه الحقيقة العلمية أن سلوك الفرد يتأثر سلبا أو إيجابا بخبراته السابقة، وتجاربه السابقة، ومعارفه السابقة، وخاصة منها تلك المكتسبة خلال فترة الطفولة الأولى، أي الفترة التي يقضيها الطفل أساسا في أحضان الأسرة، والتي تتطلب تربية وتنشئة اجتماعية من طرف الأسرة إذا ما أردنا شخصية سليمة وصالحة لأطفالنا.

— طول وقصر فترة الطفولة مرتبط بدرجة تطور المجتمع نفسه: المقصود هنا بفترة الطفولة هي فترة الرعاية الأسرية للطفل، تعتبر فترة الطفولة إحدى المؤشرات لقياس سلم الرقي لدى الشعوب، حيث أن الطفولة عند الشعوب البدائية مثلا، تكون قصيرة لأن الأسرة عند الشعوب البدائية تعتمد إلى الزج بأطفالها في معترك الحياة والعمل في سن مبكرة وهو ما يعني قصر مدة الرعاية والتربية والتنشئة

الاجتماعية ومردده يعود إلى العوز المادي والحاجة، لكن أيضا مردده إلى الضعف المعرفي والفكري للأسرة ذاتها في هذا النوع من المجتمعات.

كذلك فإن الأسر الفقيرة هي الأخرى تعتمد إلى الزج بأبنائها في العمل مبكرا وبذلك ينتزع الطفل انتزاعا من طفولته ليدخل سوق العمل، على أمل أن يعود ذلك على أسرته بالفائدة أما فائدة الطفل فتطرح جانبا، وأما المقتدر والغنى فيوفر لأطفاله فترة طفولة تكون طويلة ولا تقل عن العشرين (فترة تربية وتنشئة اجتماعية وتحضير للمستقبل).<sup>(1)</sup>

إذن حقيقة أن طول أو قصر فترة الطفولة تكون مؤشرا من مؤشرات تقدم وتأخر الشعوب، ففترة الطفولة وما يصاحبها من تربية وتنشئة اجتماعية ضروريتان يجب أن لا تقل في المتوسط من ستة عشرة سنة، ويجب أن تكون مرتبطة بفترة التعليم، وهذا ما هو حاصل في المجتمعات التي تحترم مواطنيها وتعطيهم قيمة، وأما المجتمعات المتقدمة، فإن فترة الطفولة قد تصل إلى ما فوق العشرين سنة وربما تكون أطول في بعض الحالات. وعليه فإن فترة التربية والتنشئة الاجتماعية لها علاقة بتحضر الشعوب ورفيها أو تأخرها وتخلفا.

— **اختلاف الأسرة الجاهلة عن الأسرة المتعلمة:** فالأسرة الجاهلة مثلا: تعتمد إلى المطالبة من أبنائها بالدخول إلى معترك الحياة، أوفي سوق العمل في سن مبكرة في حين أن الأسرة المتعلمة تعرف قيمة التربية والتنشئة والتعليم والعلم والمعرفة وتأثيره على حياة وشخصية الفرد، ولهذا تعتمد إلى إعطاء الوقت الكافي لأطفالها ليأخذوا نصيبهم من التربية والتنشئة، والمعارف والعلوم، قبل أن يخوضوا

انطلاقا من حقيقة أن الإنسان لا بد أن يقضي جزءا كبيرا من حياته في التربية والتعليم يعد نفسه للحياة، ويتزود بالخبرة والمعارف الضرورية لمواجهة المستقبل، ولينقل بدوره خبرات ومعارف ذات قيمة لأطفاله وللأجيال القادمة.<sup>(1)</sup>

— التربية والتنشئة الاجتماعية هي إعداد الطفل لمعترك الحياة: لا جدال في كون التربية والتنشئة الاجتماعية الصالحة والسليمة هي في الجوهر إعداد الطفل لمعترك الحياة بالإضافة لكونها إعداد

لشخصية اجتماعية صالحة، ومواطن سوي، فعال، ومتوازن مع نفسه ومع الآخرين ومع محيطه ومع مجتمعه. يذهب في هذا المجال جون ديوي **John Dewey** (1859.1952) إلى القول إن التربية بمفهومها الواسع هي تطوير قدرات الفرد ليتمكن من التحكم في بيئته وتحقيق مقدراته وطموحاته.<sup>(2)</sup>

وأما الباحث الإيطالي سيزاري بكاريا **Cesare Bccaria** فقد أشار في هذا الموضوع إلى أن الوسيلة الأكثر ضمانا لمحاربة الجريمة والوقاية منها هي التربية الكاملة.<sup>(1)</sup>، ونضيف هنا أن الوقاية من الجريمة والانحراف لا تكمن في القوانين الجزائية أوفي التقنية بقدر ما يتمكن في التربية الصالحة السليمة، وفي المنهج التربوي السليم الذي يعلم فعلا الضبط الذاتي والسلوك المدني المتحضر الملائم لروح وقيم المجتمع، أي التربية والتنشئة الاجتماعية في الأسرة والتربية والتعلم في المدرسة إلى تحضير الطفل لمواجهة الحياة والمستقبل على أساس سليم.

— أهمية التهذيب الروحي: إن التعليم والتهذيب الروحي يجب أن يكون على سلم الأولويات في عملية

التربية والتنشئة الاجتماعية وخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية. لذلك فإن غرس الوازع الديني والتقيد به، وتقويته بطرق علمية مدروسة، وبعده عن كل غلو وتطرف، و

تعليم ممارسة شعائر الدين، والالتزام بتعاليمه، من شأنه أن يحمي الطفل والمواطن من كل الانزلاقات السلوكية، ويحصنه عن الوقوع في برائن الجريمة والانحراف، ويبعده عن الانحراف الفكري، ويحقق

له الاستقرار والطمأنينة النفسية، ويهذب النفس البشرية ويربي الضمير.<sup>(1)</sup>

ب — متابعة تعليم الأطفال:

من الوظائف الأساسية الأخرى للأسرة في مجال الوقاية من الجريمة والانحراف الفكري هي

وظيفة المتابعة والحرص على تعليم الأطفال. ذلك أن التعليم هو قوة أخلاقية ومعنوية للطفل زيادة على كونه قوة معرفية وعلمية يزود بها الطفل لمواجهة الحياة، والتعليم هو أيضا: "خلق عقل سليم في جسم سليم". كما أشار إليه أرسطو. وهذه الوظيفة هي على غاية كبيرة من الأهمية لأنها وظيفة تربية

أيضا، وتدخل ضمن توفير التنشئة الاجتماعية الصالحة للأطفال، هي وظيفة اجتماعية إنسانية، أبوية قبل أن تكون وظيفة مرتبطة فقط بالحرص على ذهاب الطفل من عدمه للمدرسة، بل يجب أن تركز

على المحتوى التعليمي والمنهج الذي يتلقاه الطفل والقدرة على الاستيعاب والمتابعة اليومية لدرجة التحصيل، والانتظام والسلوك، وكل ما يتعلق بالمنظومة التعليمية وعلاقتها بالطفل.

فالمدرسة والأسرة فيما يتعلق بالطفل التلميذ يجب أن يعملتا بموازرة بعضهما البعض، ويجب أن

يكون الاتصال بين المدرسة وأولياء التلاميذ بشكل دوري ومنتظم ومتواصل. لأن هذا يدخل في إطار العمل من الجانبين على حسن تكيف الطفل مع محيطه وبخاصة منه المحيط المدرسي. وفي دراسات وأبحاث علمية عدة نجد ما يؤيد ما نذهب إليه في كون عدم المتابعة، وعدم الحرص على مواظبة الأطفال على التعليم، وعدم معرفة ما يجري في مجال العملية التعليمية ومجال محيط الأطفال قد تكون له عواقب وخيمة على الطفل، ومنها الانخراط في الجريمة والانحراف على مختلف صورته وأشكاله،

وهو ما يشير إليه أكرم نشأت (1981):<sup>(1)</sup>

**1- التواصل المنتظم بين الطفل والديه:** الوظيفة الوقائية الثالثة في مجال الوقاية من الجريمة والانحراف الفكري، هي التواصل المباشر والمستمر بين الوالدين والأطفال إذ يعتقد الكثير من الوالدين

بأن مجرد العيش مع الأطفال في أسرة واحدة وتحت سقف واحد يكفي لتكوين العلاقات وتمتين الروابط مع الأطفال. لكنه غير كاف لتكوين علاقات جيدة بين الأطفال والوالدين، ولا يمكن أن يكون مرادفاً أو بديلاً للاتصال والتواصل المباشر والمنتظم والضروري بين الوالدين والأطفال.

في هذا المجال يجب أن لا ننسى بأن الطفل في مراحل حياته الأولى يكون مرهف الحس وشديد

التأثر ويقول **حسين عقل في هذا الشأن (1996)** إن أحداث الطفولة والاحباطات والصراعات ونمط العلاقات الأسرية لها أثر كبير في بناء شخصية الفرد وسلوكياته السوية والشاذة.<sup>(2)</sup>

فالطفل في سنواته الأولى يتعرض لضغوطات ومؤثرات عدة تتطلب بالضرورة تربية وتنشئة اجتماعية، فهو شديد التأثر بالمصادر، والعوامل والخبرات التي يكون عرضة لها وشديد التأثير بالمحيط والأحداث والوقائع التي يعايشها، فإذا كان لا يتلقى الدعم والتصويب وما يسد حاجاته، ولا يجد القدوة الحسنة في والديه أولاً، وفي كامل أفراد أسرته ثانياً فإنه سوف يذهب إلى الاقتداء بالغير وقد تتلقفه حينها أياد آثمة، أو صحبة بائسة أو محيط الشر والانحراف.<sup>(1)</sup>

وهنا يظهر بوضوح مدى أهمية الاتصال والتواصل بين الأطفال والوالدين في مجال حسن التربية والتنشئة الاجتماعية ولتبيان فوائد التواصل المنتظم والمستمر بين الوالدين والأطفال.

**2- الابتعاد عن العنف والمبالغة:** دائماً وفي إطار المهام والنشاط الوقائي للأسرة ضمن مجهودات التربية والتنشئة الاجتماعية، نذكر أهمية الابتعاد عن العنف والمبالغة في التدلال أو اعتماد العقاب

البدني في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية. أما المقصود بالعنف فهو الذي يأتي في إطار اعتماد العقاب كوسيلة للتربية والتنشئة الاجتماعية.

لكن لاعتقاد الشائع في مجتمعاتنا العربية أن سبيل التربية الصالحة، هو "العصا لمن عصى" وأن العقوبة البدنية والضرب أفضل سبيل للنجاح في عملية التربية

والتنشئة الاجتماعية وكأننا، لا نسأل أنفسنا لماذا نضرب أطفالنا، وما هي نتائج ذلك على الرغم من أن الوالدين يكونان في هذه الحالة عاجزين عن الإجابة الصحيحة والسليمة عن تلك الأسئلة ومقتنعان مسبقا بمفعول العقوبة في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية.

نحن نعتمد على العقاب وننسى أن للعقاب شكلا آخر أكثر نجاعة وأكثر مردودا في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية هذا الشكل الآخر هو التعزيز أولا، والإطفاء أخيرا، إذن العقاب له وجه آخر وهو الثواب، والثواب والتعزيز يجب أن يكون هو الأساس وهو الوسيلة الصحيحة والسليمة في عمليتي التربية والتنشئة الاجتماعية.

العقاب يجب أن يكون آخر الوسائل في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية إن كان لا بد منه فإن ذلك يمكن أن يأخذ صورا وألوانا متعددة غير العقوبة البدنية والتي هي في رأينا لا تصلح لشيء في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية خاصة في مراحل حياة الطفل الأولى، حيث يمكن أن يؤدي العقاب

إلى نتائج عكسية سلوكيا وأخلاقيا.<sup>(1)</sup>

وأما المسألة الثانية، هنا التي نريد التحذير منها في المجال الوقائي فهي مسألة المبالغة في تدليل الأطفال والخضوع لكل رغباته، وأساسا إن المبالغة في كل شيء في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية هي مفسدة، إن المبالغة في تدليل الطفل مثلا من شأنها أن تحرمه من اكتساب خبرات اجتماعية، وسلوكية، ونفسية هو في حاجة ماسة إليها، المبالغة في تدليل الطفل من شأنه أيضا أن تفقده ثقته بنفسه وتقلل من اعتماده على نفسه في انجاز أمور عدة، بذلك قد تكون عائقا أمامه في حياته المستقبلية وقد يدفعه ذلك للاعتماد الدائم على الآخرين.<sup>(2)</sup>

### خاتمة:

يتضح لنا مما سبق أهمية الدور العظيم الذي تضطلع به الأسرة في تربية الأبناء، وإعدادهم للحياة الاجتماعية، ولشغل أدوارهم المستقبلية المتوقعة منهم، وذلك أن تماسك البناء الاجتماعي وبقائه واستمراره مرهون بقيامها بهذه الوظيفة النبيلة، والتي تعمل من خلالها على إكساب أفرادها العادات، والتقاليد، والاتجاهات،

والمعايير، والسلوكيات... الخ، وبالتالي نقل التراث الثقافي والاجتماعي من جيل لآخر، فالأسرة بمثابة المرآة العاكسة للثقافة المجتمعية السائدة، وهي تحقق للفرد من خلال التربية الشعور بالانتماء.

وعلى الرغم من التغيرات التي طالتها كغيرها من الأنساق الاجتماعية الأخرى، فقد أدى ذلك إلى تقلص حجمها ووظائفها عما كانت عليه في السابق، إلا أنها لا تزال عاملاً مهماً من عوامل التربية التي تحدد من خلاله الأنماط الثقافية، والاتجاهات السلوكية، والممارسات الاجتماعية للأفراد، وتراجع الأسرة عن القيام بهذا الدور سبب في انحلال النسيج الاجتماعي وتفككه، وانهيار المنظومة القيمة التي أقرها المجتمع، وفقدانه للتوازن والاستقرار.

### المراجع المعتمدة:

- 1- أكرم نشأت (1981)، عوامل جنوح الأحداث، سلسلة الدفاع الاجتماعي، العدد الثالث.
- 2- أمل محمد (1427. 1428)، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى.
- 3- أميرة منصور يوسف علي (1999)، محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية.
- 4- ابن منظور (د.ت)، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت.
- 5- الخطيب محمد شحات (2006)، الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- 6- العمر معن خليل (1994)، علم الاجتماع الأسرة، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان.
- 7- المالكي عبد الحفيظ بن عبد الله (1427هـ)، نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراه، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- 8- بند بن علي (1430هـ)، تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى..
- 9- جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية (2005)، الأمن الفكري، مركز الدراسات والبحوث، ط1، الرياض.
- 10- جمال مجدي حسنين (2005)، سوسيولوجيا المجتمع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة.
- 11- جميل صليبا (1979)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ط1، ج2، بيروت.

- 12- حسن مصطفى عبد المعطي(2004)، الأسرة ومشكلات الأبناء، دار السحاب، ط1، القاهرة.
- 13- حنان عبد الحميد العناني(2000)، الطفل والأسرة والمجتمع، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، الأردن.
- 14- راشد بن سعد الباز (1425هـ)، أزمة الشباب الخليجي واستراتيجيات المواجهة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- 15- زياني دريد فطيمة(2005)، الأسرة والتنشئة الاجتماعية للطفل، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، العدد13.
- 16- سلوى عثمان الصديقي(2004)، وآخرون: الأسرة والسكان من منظور الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 17- طالب أحسن (2001)، الوقاية من الجريمة، دار الطليعة، بيروت.
- 18- طه عابدين طه (د.ت)، الانحراف الفكري مفهومه، أسبابه، علاجه، جامعة نايف العربية، الرياض.
- 19- عبد الرحمن عيسوي(1989)، علم النفس ومشكلات الفرد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- 20- عبد العزيز بن صقر الغامدي (2005)، الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، الرياض.
- 21- عبيد روؤف(1998)، أصول علم الإجرام والعقاب، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 22- عطا حسين عقل (1996)، الإرشاد النفسي والتربوي، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض.
- 23- فاخر عقل (1998)، معالم التربية، دار العلم للملايين، بيروت.
- 24- محمد جابر محمود رمضان(2005)، مجالات تربية الطفل في الأسرة والمدرسة، عالم الكتب، ط1، القاهرة.
- 25- محمد عاطف غيث(2005)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزراطة.
- 26- محمد محمد نصير (1991)، الأمن والتنمية، مطبعة العبيكان، الرياض.
- 27- مروة عماد الدين(د.ت)، طفلك من المهد...إلى المدرسة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة.